

سورة هود

﴿٦٧٨٩﴾

حماية نفسه، ثم تأتي غزوة بدر : ليرى المؤمنون صدق ما تنبا به رسول الله ﷺ .

ومن العجيب أنه ﷺ خطط على الأرض مواقع مصرع بعض كبار الكافرين^(١)، بل وأماكن إصابتهم، وجاء ذلك قرآنًا يتلى على سر العصور، مثل قوله الحق: ﴿مَنْسُخُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ^(٢)﴾ [القلم]

وهكذا شاء الحق - سبحانه - أن يأتي الواقع بما يؤيد صدق الرسول ﷺ ، كما شاء - سبحانه - أن ينزل على الرسول لقطات من قصص الرسل الذين سبقوه لشد أثره ، وليثبت قواده ، ويذكر المؤمنين فيزدادوا إيمانًا.

ثم يختم الحق - سبحانه - سورة هود بقوله الكريم :

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَصْمَلُونَ﴾ [٦٧٩]

(١) أخرج مسلم في صحيحه (٢٨٧٢) عن أنس بن مالك قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة، وأنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس، يقول: هذا مصرع فلان هنا إن شاء الله، قال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود، لئن حدث رسول الله ﷺ، وكذا أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣١٩، ٢٥٨) وفيه أن رسول الله ﷺ كان يضع يده على الأرض هناك وهنا، فما أساط أحدكم عن موضع يد رسول الله .

(٢) الخراطيم : الأنف أو مقدم الأنف، والأنف رمز العزة عند العرب، ويقال: شتم الأنوف أي : أعزاء . والوسم على الأنف : إزدلال وإهانة. قال تعالى : ﴿مَنْسُخُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ [القلم] أي : سنلته نهاية الإزدلال . قيل : إن هذه الآيات غزلت في الوليد بن المغيرة ، وقد ضرب على أنفه بالسيف يوم بدر ، قبل قتله ، فصنعت عليه الآية، وأخبرت بما سيحدث له قبل حدوثه. وقد أسلم من ابنائه اثنان، أحدهما سيدنا خالد بن الوليد سيف الله وقائد العراق وقاهر الروم، [القاموس اللوي: ١/ ١١٩].

(٣) غاب الشيء يغيب غيبًا : استتر عن العين أو عن علم الإنسان فهو المغمى والغيب : مصدر، ويسمى به ما غاب واستتر . قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾ [البقرة] والغيب : هو ما غاب عن العيون كالجنة والنار والملائكة والجن، وجمعه: غيوب. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ غَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة] . [القاموس اللوي: ٢/ ٦٤].

أى : أن ما جاء من ذكر حكيم هو أمر غائب عنكم، يخبركم به الله - سبحانه - من خلال ما يُنزل على رسوله ﷺ .

وقد شاء الحق - سبحانه - أن يحفظ هذا الذِّكْر الحكيم ، ثقةً منه - سبحانه - أنه إذا أخبرنا في القرآن بخبر لم يجرى أوانه ، فلنُفهم أنه قد أخبر بما له من أزلية علم بالكون وما يجرى فيه ، وبما له من قدرة مطلقة تتحكم فيما يؤول إليه أمر المُختار من الكائنات - مؤمنهم وكافرهم - فإذا حدثنا القرآن بشيء مما يغيب عن الإنسان ، فلنعلم أنه إخبار بصدق مطلق.

وهناك الكثير مما يغيب عن الإنسان ، وهناك حجاب بين وسائل إدراك الإنسان وبين بعض المُتْرَكَات ، ومرة يكرن الحجاب حجابَ زمنٍ ، فإذا أخبر الله - تعالى - عن أمر لم نشهده من قديم قد أوغُل^(١) في الزمن، ولم يقرأه النبي ﷺ في كتاب ولم يسمعه من معلّم^(٢) ؛ فهذا كُشِفَ لحجاب الماضي.

ولذلك فبعض سور القرآن الكريم يسميها الطماء «ما كُنَّتِ القرآن»

(١) وَغُلَّ فِي السَّمَاءِ وَغُلَّ : دَخَلَ فِيهِ . وَغُلَّ : نَعِبَ وَابْعَدَ . وَغُلَّ فِي الْأَرْضِ : نَعِبَ فَابْعَدَ فِيهَا . وَكَذَلِكَ لَوْ غُلَّ فِي الْعِلْمِ . [لسان العرب - مادة : غل].

(٢) وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا كُنْتَ تَقُولُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا نُفَعَالُهُ يَمِينِكَ إِذَا لَأَرْثَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأنبياء] قَالَ مُجَاهِدٌ : كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَجِدُونَ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَا يَخْطُ وَلَا يَقْرَأُ لَنَزَلَتْ مِنْهُ الْآيَةُ . قَالَ النَّصَّاسُ : لِهَذَا عَلَى نَبِيِّهِ لَقَرِيضًا لِأَنَّهُ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا يَخْطُ أَهْلُ الْكِتَابِ . وَلَمْ يَكُنْ بِمَكَّةَ أَهْلُ الْكِتَابِ ، فَجَاءَهُمْ بِالْخَبَرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ . وَذَلِكَ الْقَرِيضَةُ وَالشُّكُّ . [انظر: تفسير القرطبي - ٥٢٤١/٧].

الذي لم يجلس إلى مُعَلِّم بشهادة أعدائه ، وكذلك كشف الحق - سبحانه - لرسوله حجاب الزمان وحجاب المكان.

ومنْ يَنكشِفْ له حجاب الزمان وحجاب المكان؛ إنما يَنكشِفْ له حجاب المستقبل أيضاً ، والذي كشف هذا هو الحق - سبحانه - الذي قدَّر مجيء هذا العالم، وما سوف يحدث فيه إلى أن تقوم الساعة.

وقد طمَّر^(١) الحق - سبحانه - في القرآن أموراً لو كُشف عنها في زمن بَعَثَ الرسول ؛ لكان الحديث عنها فوق مستوى العقول والإدراك ؛ وتحدث - سبحانه - عن وقائع مستقبلية بالنسبة للمعاصرين لرسول الله ﷺ ؛ لم يكن أحد يتوقعها.

وكانت هناك معركة بين أرقى حضارتين معاصرتين للإسلام ؛ حضارة فارس وحضارة الروم ، وكانت الحضارتان تتنازعان السيطرة وتوسيع مناطق النفوذ - وهَزَمَتُ فارس - التي لا تؤمن بإله - امبراطورية الروم التي تعتنق المسيحية ، ولا تؤمن برسالة محمد الخاتمة.

لذلك حزن رسول الله ﷺ لهزيمة الذين يؤمنون بإله في السماء: فَيَمُرُّ^(٢) الله - سبحانه - الأمر على رسوله، ويُنْزِلُ الحق - سبحانه -

(١) طمَّر الشيء: خَبَّاه. والمطمورة حَفيرة تحت الأرض أو مكان تحت الأرض قد هُبِيَ خفياً يُطْمَر فيها الطعام والمال. أي: يُخْبَأ. [لسان العرب - مادة: طمَّر].

(٢) إن في حزن رسول الله ﷺ على هزيمة الروم - وهم أهل كتاب لدليل على أن الإسلام هو جماع الأديان السماوية ، وأن الأديان جميعاً كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو ثامى إليه سائر الجسد بالسر والحمى - الحديث إن إحسان رسول الله ﷺ بالهزيمة وحزنه عليها دليل على رحابة الإسلام وعالميته مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .. ﴾ [الشورى]

(٣) يسرو: يكشف عن غوامضه الألم ويزيله. وسُرِّي عنه: أي: كُشِفَ عنه الحُوف، وقد تكرر ذكر هذه اللفظة في الحديث، وخاصة في ذكر نزول الوحي عليه، وكلها بمعنى الكشف والإزالة [لسان العرب - مادة: سرو].

سُورَةُ رُومٍ

﴿٦٧٩٣﴾

قرآنًا يُتْلَى عَلَى مَرَّ الْعُصُورِ وَكُلِّ الْأَزْمَانِ؛ يَحْمِلُ نَبُوءَةَ انْتِصَارِ الرُّومِ
بَعْدَ هَزِيمَتِهِمْ مِنَ الْفَرَسِ.

ويقول سبحانه : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا رُومَ﴾ (١) غَلَبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى (٣) الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ
بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٤) فِي بَضْعِ سِنِينَ (٥) لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
الْمُؤْمِنُونَ (٦) بِتَغْيِيرِ اللَّهِ يُغَيِّرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٧) ﴿[الرُّوم]

هكذا تأتي النبوءة في القرآن تحصل التحديد لميعاد نصر الروم في
بضع سنين ؛ و «البضع» يقصد به من ثلاث لتسع سنوات.

(١) أدنى الأرض: أقربها. قال ابن عطية: إن كانت الواقعة بأذربعات - بين بلاد العرب والشام -
فهى من أدنى الأرض بالقياس إلى مكة. وإن كانت الواقعة بالجزيرة - موضع بين العراق
والشام - فهى أدنى الأرض بالقياس إلى أرض كسرى.

وإن كانت بالأردن فهى أدنى إلى أرض الروم. [نقله القرطبي في تفسيره (٥٢٦٠/٧)].

(٢) البضع : هو ما بين الثلاث إلى التسع. أخرج الترمذى في سننه (٣١٩٤) عن ثوبان بن
مُكْرَمٍ الأسلمي قال: لما نزلت : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا رُومَ﴾ (١) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ
سَيَغْلِبُونَ (٢) فِي بَضْعِ سِنِينَ .. (٣) ﴿[الرُّوم] فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية فاهرين للروم،
وكانت المسلمون يجهلون ظهور الروم عليهم؛ لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفى ذلك قول الله
تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٦) بِتَغْيِيرِ اللَّهِ يُغَيِّرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٧)﴾ [الرُّوم]
فكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان بهتة، فلما أنزل
الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه يصيح فى نواحي مكة : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا
رُومَ﴾ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بَضْعِ سِنِينَ .. (٤) ﴿[الرُّوم]
قال ناس من قريش لأبى بكر: فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارساً فى
بضع سنين، أملاً نراهمته على ذلك؟ قال: بلى، وذلك قبل تصريح الرهان. فارتعن أبو بكر
والمشركون وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبى بكر: كم تجعل؟ البضع ثلاث سنين إلى تسع
سنين، فعمَّ بيننا وبينك وسطاً فتدعى إليه. قال: فسموا بينهم ست سنين. قال: فعمدت الست
سنين قبل أن يظهروا فساد المشركون رهن أبى بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت
الروم على فارس فعاب المسلمون على أبى بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال: فى
بضع سنين، قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير. قال الترمذى: هذا حديث صحيح حسن غريب.

سُورَةُ هُودٍ

٦٧٩٤

وَأَنْ تَقِيلَ : تلك نبوءة محمد ، نقول : ما علم محمد بأخبار
المعسكرين ولا بأسرار السياسة الداخلية لهما؟

وقد جاء نصر الروم كما حدد القرآن ، وكان هذا هتكا للحجب ،
حجاب الزمان ، وحجاب المكان ، وحجاب الناس ، وأوحى به الحق
سبحانه عالم الغيب المطلق لرسوله ﷺ .

والغيب المطلق هو الذي لا يعرفه إلا الحق - تبارك وتعالى - وليس
له مقدمات، ويكشفه الله لمن يرضيه، مصداقا لقوله - سبحانه : ﴿عَالِمُ
الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ..﴾ (٢٧) [الجن]

وهذا الغيب^(١) المطلق يختلف عن الغيب المقيّد الذي له مقدمات :
ما إن يأخذ بها الإنسان ويرتبها حتى يصل إلى اكتشاف سرٍّ من
أسرار الكون.

والحق - سبحانه - هو القائل:

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ..﴾ (٢٠٠) [البقرة]

وهكذا نعلم أن كل المكتشفات كانت موجودة في الكون ومطمورة
فيه : وجعل الله - تعالى - لكل مستور منها ميلاداً ، فالبخار
واستخدامه في الحركات كان له ميلاد : والكهرباء كان لها ميلاد :
واكتشاف الذرة كقوة ومصدر للطاقة كان له ميلاد، وكل مُكتشف
ومُخترع له ميلاد ، وتترالى مواليد الغيب مستقبلاً ، وفي ميلادها

(١) الغيب : مصدر ويُسمّى به ما غاب واستتر ، قال الحق : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ..﴾ (٤) [البقرة].

والغيب : هو ما غاب عن الميرون كالجنة والدار والملائكة والجن ، وجمعه غيوب. قال تعالى :

﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (٥٥) [المائدة]. [القاموس القويم جـ ٢ / ٦٤].

إيمان اليقين بمن أخفاه وأظهره ، وهو الله الحكيم.

وقد يأتى هذا الميلاد بكشف وبحث : وقد يُظهره الله بدون بحث :
أو يُظهره صدفة؛ مثلما أظهر قانون الطوفان النابيع من قاعدة «أرشميدس»
ومثلما أظهر الحق - سبحانه - قانون الجاذبية صدفة ؛ أى : أنه سبب
من الأسباب جعل عبداً من عبياده يبحث فى شيء، فيظهر له شيء لم
يكن يبحث عنه ؛ ولذلك نسب الحق - سبحانه - الإحاطة له - سبحانه.

وهنا يقول الحق - سبحانه : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۖ﴾ (١٢٢) [هود]

ولم يقل : «إليه يرجع الأمر كله» ، لأنه سبحانه ضابط كل
مخلوق على قدر.

وله المثل الأعلى : كما تضبط أنت المنبه على ميقات معين ، وكما
يضبط المقاتل القبيلة لتنفجر فى توقيت معين ، والكون كله مُرتَّب
على هذا الترتيب.

والله - سبحانه - القائل :

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) [يس]

فكل شيء إنما يرجع إلى الله فى التوقيت الذى شاءه الله.

أو : أن الأمر هو كل ما يتعلق بكائن حي ؛ لأن الحق - سبحانه - قد
خلق فى الكون أشياء وترك ملكيتها له - سبحانه - والحق
- سبحانه - لا ينتفع بها ، أما الإنسان فينتفع بها ، وإن كان لا يقربها
ولا يملكها. مثل : الشمس التى ترسل أشعتها، ويستفيد الإنسان
بضوئها^(١) وحرارتها ، وهى لا تدخل فى ملكية الإنسان ؛ لأنها من

(١) وصف الله تعالى الشمس فى قرآنه. فقال : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً ۖ﴾ [يونس] ، وقال
عنها : ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ بِرَاقًا ۖ﴾ [نوح] والسراج : المصباح يطفى خروفاً ويضيء حرارة.

أساسيات الحياة : لذلك لم يجعل للإنسان الذى خَصَّهُ الله بخاصية الاختيار حق ملكيتها أو الاقتراب منها : حتى لا يعيث بها.

وكذلك كل أساسيات الحياة جعلها الحق - سبحانه - فى سلطته وحده ، ولم يَأْمَنْ أحداً من خلقه عليها ، مثل الأرض بعناصرها ، وكذلك الماء والهواء حتى لا يعيث أحد بأنفاس الهواء لأحد آخر.

شاء الحق سبحانه أن يجعل الأساسيات فى يده دون أن يملكها لأحد : رحمة منه بنا ، ذلك أنه - سبحانه - عَلم أن الإنسان بما تعتريه من أغيار قد يسيء استخدام تلك الأساسيات.

وسَخَّرَ الله هذه الأساسيات لخدمة كل المخلوقات^(١) ، وسَخَّرَ بعض المخلوقات ليعبُوسها الإنسان ، وبعض المخلوقات الأخر لم يستطع الإنسان تسخيرها ، وحتى قوة الإنسان نفسه : شاء الحق - سبحانه - أن يجعلها أغياراً : فالقوى يسير إلى الضعف^(٢) : والفقير قد يصبح غنياً.

(١) يقول تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝٢٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَالِّينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝٢٣﴾ [إبراهيم] وقد جمعت هاتين الآيتين أساسيات الكون التى تحدث عنها فضيلة الشيخ الشعراوي السماوات - الأرض - الماء - الشجرات - الفلك - البحر - الأنهار - الشمس - القمر - الليل - النهار.

(٢) وفى ذلك يقول الحق سبحانه : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْضٍ ضَعْفَ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْضٍ ضَعْفًا وَضَعْفًا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ۝٢٤﴾ [الروم].

شیراز

[illegible]

وهكذا يُثبت لنا أن كل ما نملك مرهوب^(١) لنا من الله - تعالى -
وليس هناك ما هو ذاتي^٢ فينا ، وما نملكه اليوم لا يخرج عن الملكية
الموقوتة ، فإذا جاء يوم القيامة: رجع كل ما نملك لله - سبحانه وتعالى -

ولذلك يقول الحق - سبحانه :

﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر]

ولذلك أيضاً تشهد الجوارح على الإنسان: لأنها تخرج عن التسخير الذي كانت عليه في الدنيا^(٦).

وإذا كان الحق - سبحانه - يقول هذا:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .. ﴿١٧٧﴾ [هود]

فهو - سبحانه - يقول في آية أخرى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٦) [٤]

وكان الحق - سبحانه - ينبه البشر منذ نزول القرآن إلى أهمية ما تحت الثرى من كنوز بعث^٤ الله - تعالى - بها على عباده أنه يملكها.

[illegible]

(٢٧) وذلك في قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ لَهُمْ يَرْزَعُونَ﴾ (٢٧) حتى إذا ما جماعوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴿٢٨﴾ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فأناؤا أنطقا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴿٢٩﴾ وما كنتم تتصرون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ﴿٣٠﴾ ﴿[فصلت]

(٣) الحرى : القربان النفسى أو الترابط مطلقاً، قال تعالى : ﴿ وَمَا تَحْتَ الثرى ﴾ [طه] أى

ونحن نعيش الآن باستخراج المكثور الذي تحت الثرى.

وحين يقول الحق - سبحانه - في الآية التي نحن بصدد
خواتمها - : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۖ ﴾ [١٢٣] [هود]

ففي ذلك تنبيه لكل إنسان ، ليعمل مُستهدفاً النجاة حين لا يكون
لنفسه على نفسه سبيل يوم القيامة.

وليعلم كل إنسان أن كل ما يستمتع به هو من فيوضات الحق
الاعلى الذي أعطى الإنسان قدرة من باطن قوته - سبحانه - وأعطاه
غنى من باطن غناه - سبحانه - وأعطاه حكمة من باطن حكمته
- سبحانه - وأعطاه قبضاً^(١) وبسطاً من باطن قدرته - سبحانه -
وكذلك أعطى لعبيده من كل صفة بعضاً من فيضها ، ثم تظل
الفيضات للحق - سبحانه وتعالى.

وحين يشاء فهو يسلب كل الفيوضات ويعود الأمر إليه ، لأن
الأمر كله له سبحانه.

فإن حدثت في القرآن بأمر تغيب عنك مقدماته، فاعلم أن الذي أنزل
هذا الكتاب لا يعزب^(٢) عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

(١) يستعمل القبض كناية عن ضيق العيش، والبسط كناية عن سعة . كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ
يَقْضِي وَتَسْطُرُ ۚ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة] أي: يضيق الرزق ويوسعُه على من يشاء.
[القاموس القويم : ٩٦/٢] بتصرف. وبسط اليد: يُكفَى به عن الكرم والسخاء أو عن
الإسراف وكثرة إنفاق المال، ويقول تعالى عن نفسه: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقِفُ كَيْفَ يَشَاءُ
ۖ ﴾ [المائدة] كناية عن الكرم والسخاء [القاموس القويم ٩٦/١].

(٢) عزب الأمر يعزب: يقد وغاب وصُغِبَ مطلبه، قال تعالى : ﴿ وَمَا يُعْزَبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس] : أي: لا يغيب
ولا يبعد عنه أي شيء، فهو يعلم الصغير والكبير من الأمور والأشياء. [القاموس القويم:
٩٨/٢].

ولذلك كان الرسول ﷺ على ثقة أن الحق - سبحانه - حين أمره أن يتروعد أعداء الدين فهو يطمئنه أن المرجع في كل الأمور إليه - سبحانه.

راطمان الرسول ﷺ والذين معه أن أعداء الدين إن لم يُجَازَوْا في الدنيا، فغداً ترجع الأمور كلها إلى الله ، وإن كان الحق قد ملكهم أشياء؛ فسيسلِّبهم هذه الملكية في الآخرة ، وإن كان قد أعطاهم الخيار^(١) في الدنيا ؛ خيار أن يؤمنوا ويطيعوا ، أو أن يكفروا ويعصوا^(٢) ؛ فهذا الاختيار سيزول عنهم في الآخرة ، وكل مالك لملك يصير ملكه بعده إلى الله.

ومادام الأمر كذلك فلنعبد الله وحده - سبحانه - لأنه صاحب الأمر فيما مضى ؛ وله الأمر الآن ؛ وله الأمر فيما يأتي.

وهو - سبحانه - الذي شاء، فجعل للإنسان ثلاثة أزمان: زمان سبق وجود آدم ؛ وزمان من بعد آدم إلى وجود أي منا ؛ ثم زمان مستقبل إلى ما لا نهاية ، وبذلك يكون لكل منا زمان ماضٍ ؛ وزمان حاضر وزمان مستقبل ، وكل منا يدور في فلك الأحداث^(٣).

(١) الخيار : اسم من الاختيار، وخيرته بين الشيئين أي : فرَّخت إليه الخيار، ونُفِّر الشيء: اختاره، والاختيار: الاصطفاء وكذلك التخيُّر [لسان العرب - مادة : خير] بتصرف.

(٢) وقد جاء هذا في آيات كثيرة منها:

- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ مِنْ رَبِّكَ مَن تَشَاءُ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن تَشَاءُ فَلْيُكْفُرْ..﴾ (٣٥) [الكهف]

- ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا تَخَيَّرَ وَإِنَّمَا تَخَيَّرَ﴾ (٣٦) [الإنسان]

ومعنا الإسلام العام أنه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ..﴾ (٣٧) [البقرة]

(٣) الحدث من أحداث الدهر: النازلة، وحدثان الدهر وحوادثه: قَوَّيَ ومصائبه، [اللسان - مادة : حدث].

ومن المنطقي بعد أن تستمتع بوجودك في الحياة ؛ وتنضج عقلياً
أن تتساءل عن ماضيك ، وتاريخ الجنس البشري.

وأنت - في هذه الحالة - تكون رهنًا بثقة المحدث : هل يقول
الصدق أم يقول الكذب ؟ خُصُوصاً إذا كان الحديث عن تاريخ ما قبل
آدم ، ولا بد أن تقول لنفسك : لا يمكن أن يُحدثني عن ذلك إلا مَنْ
خلقني^(١).

وساعة يُلقِّكَ رسول الله ﷺ عن بداية الخلق قائلاً : « كان الله ،
ولم يكن شيء غيره »^(٢).

ومعنى ذلك أن الصادق الوحيد الذي يمكن أن نقبل منه كلاماً عما
قَالَ قَبْلَ آدم هو الله - سبحانه وتعالى.

وإِنْ سَأَلْتَ : لماذا وُجِدْتُ في زمني هذا ، ولم أوجد في زمن
آخر؟ هنا ستقول لنفسك إِنَّ كُنْتَ مؤمناً : « إن مشيئة وإرادة مَنْ
أوجدني هي التي رجحت وجودي في هذا الزمن عن أي زمن آخر ».

ولا بد أن تسأل نفسك : وما المطلوب مني ؟

(١) وفي هذا يقول الحق سبحانه : ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ .. ﴾ (٥١) [الكهف] ، وقال تعالى عن خلق الملائكة : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ أَحَدُهُمْ خَلْقُهُمْ سَكَبٌ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴾ (٦١) [الزخرف]

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٤٢١)، والبخاري في صحيحه (٣١٩٦) من حديث عمران بن حصين، وتامه : « كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض ».

سورة الأعراف

٦٨٠١

وستجد أن المطلوب منك هو حركة الحياة ؛ لأن تلك الحركة هي
الفاصل بين الحياة والموت ، والحق يقول : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ
وَأَسْتَعْمِرَكُمْ^(١) فِيهَا .. ﴾ (٦٨)

[ممد]

فقد أعطاك الحق - سبحانه - العقل لتفكر ، وأعطاك الطاقة لتتعل.
وسخر لك الكون بالمعمور فيه من الرزق ؛ لتستخرجه وتعيش منه.

وهكذا يتضح لك أن كل شيء يحتاج منك أن تتحرك ، وأنت في
حركتك تحتاج لطاقة تأخذها من الأعلى منك وتعطي للأدنى منك ؛
لذلك أنت تأخذ طاقة من الأعلى منك ، وتعطي للأدنى منك.

وأنت تعلم أن قصة المطلوب منك أن تُصلي بين يدي الله خمس
مرات كل يوم؛ لتشمن طاقتك وتخرج للحياة بعد أن تُجدد ولاءك لمن
خلقك وخلق الأكوان كلها ، وإن أحسنت الوقوف بين يدي الله سيأتي
مستقبلك مبنياً على هذا الإحسان.

والحق - سبحانه - يعطينا مثلاً لهاتين الحركتين ، فيقول :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلْعَلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ
وَذَرُوا الْبَيْعَ .. ﴾ (٦٩)

[الجمعة]

هذه حركة يأخذ فيها الإنسان طاقة من الأعلى ، فالسعي إلى ذكر

(١) استعمره في المكان ؛ جعله يعمره. قال ابن منظور في [اللسان - مادة : مسر] :
«استعمركم فيها، أي: أذن لكم في مساكنها واستخراج قوتكم منها، وجعلكم عمارها».

سُورَةُ هُودٍ

٦٨٠٢

الله وترك البيع من أجل ذلك يعطى الإنسان طاقة إيمانية ، يظهر أثرها
فى الحركة الثانية من حركات الإنسان.

ولذلك يقول الحق - سبحانه - بعد هذا:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا ^(١) فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ^(٢) ﴾ [الجمعة]

ولذلك يقول الحق - سبحانه - فى هذه الآية التى نحن بصددها
خواطرنّا عنها:

﴿ لَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ^(٣) ﴾ [عبد]

أى : أطع الله فى أمره ؛ لأنه - سبحانه - الأعلى منك ، بأن
تؤدى المطلوب العبادى من : صلاة ، وزكاة ، وصيام ، وحج إن
استطعت لذلك سبيلاً ، لتأخذ من المدد الأعلى ما يعينك فى حركتك
الثانية التى تتحركها فى الكون.

ومن العجيب أن حركتك فى الكون الأدنى تُعينك على حركتك
لاستمداد الطاقة من مُكوّن الكون - سبحانه.

فانت حين تصلى تحتاج لِستّر عورتك بثوب ، وحتى فأتى
بالثوب لا بد لك من أن تعتمد على حركة الفلاح فى الزراعة ، وحركة

(١) لتتشر الناس فتركوا وتصرفوا فى معيشتهم. قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا بَيْنُهُمْ بَثْرٌ تَتَضَرَّعُونَ ^(١) ﴾ [الروم] أى : يتصرفون فى معيشتكم وتسعون فى الأرض. وقال : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ
فانتشروا .. ^(٢) ﴾ [الأحزاب] انصرفوا كل إلى حال سبيله. [القاموس القويح: ٢/٢٦٦].

سورة الزمر

٦٨٠٢

العامل في النسيج ، وحركة التاجر في البيع ، وحركتك في عملك الذي يتيح لك أجراً تشتري منه الثوب.

وبذلك تكون قد أخذت كل علوم الحياة ؛ لكي تذهب للصلاة لتأخذ المدد من المدد الأعلى.

وهكذا تجد أنك في حركة دائرة ؛ تأخذ المدد من الأعلى لتعطي للكون الأدنى ، وتأخذ من الأدنى ما يتيح لك الوقوف بين يدي صاحب المدد الأعلى.

وبهذا يثبت لك أن الحركة في الحياة الحاضرة لكل إنسان بالنسبة لعمره في الحياة، هي استقبال^(١) من المدد الأعلى ، وانفعال مع المدد الأدنى ، وكل منهما يعين على الآخر ؛ لذلك فعليك أن تعبد الله بأن تنظم حركة حياتك على ضربه منهجه - سبحانه.

واعلم أنه سنصايفك المصاعيب فإن صايفتك فتوكل على الله ، وتلك فائدة من فوائد استمرار ولائك لله الذي تأخذ منه المدد.

ولذلك «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة»^(٢).

(١) فمن طريق عيانتك يكون العون من المدد الأعلى يقول الحق: ﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة] فطينا العبادة الخالصة لنقوِّز بعون المدد الأعلى. وقد كان دعاء إبراهيم عليه السلام عندما أودع هاجر وإسماعيل عند البيت الحرام: «قَالَ فِي دُعَائِهِ: ﴿رَبَّنَا اجْعَلْ لَنَا مِنْ هَذَا شَيْئًا مَثْوًى﴾» [إبراهيم] ، من مفهوم ماثورات الإمام.

(٢) عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى» أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨٨/٥) وأبو داود في سننه (١٣٦٩).

ومعنى «حزبه»^(١) أى خرج عن أسبابه ، لذلك فهو يذهب إلى
المسبب الأعلى ، فإن عبت الله وتوكلت عليه : فهو يعينك ؛ لأنه
- سبحانه لا يفغل عما تفعل.

وهذه الآية تدل على السعادة فى الحاضر والمستقبل ؛ لأنك إن
كنت ترعى الله فسبحانه يكتب لك الحسنة بعشر أمثالها ، وقد
يضاعف عن ذلك^(٢) ، وتكتب السيئة بعثها.

وبذلك تكون هذه الآية قد استوعبت وانتظمت حال الإنسان : قبل
حياته ، وحاضر حياته ، ومستقبل حياته إلى أن تقوم الساعة.

يقول الحق - سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ..

[الأنفال]

﴿٢٤﴾

فدعوة الله بالطاعة ، ودعوة الرسول بالسلوك السوى يعطى
للمؤمن حياة الحياة ، وهى حياة تعيش فى معية الله.

(١) حزبه أمر: أسبابه، إذا غلب به منهم أو لسانه غلب. وأمر حازب وحزيب: شديد. وحوازب
الخطوب - وهو جمع حازب - وهو الأمر الشديد. [لسان العرب: مادة: حازب].

(٢) يقول الحق سبحانه : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ
لَا يُقْقِنُونَ﴾ [الأنعام] ويقول أيضا: ﴿عَلَى الَّذِينَ يَفْقَهُونَ أُمُورَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَسَلٌ حَتَّى أَتَتْ
مِثْقَالَ مِثْقَلٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ مِثْقَالَ حَبَّةٍ رَافَعَةٍ يُضَاعَفُ فِيهَا وَلِلَّهِ وَاسِعٌ عِلْمٌ﴾ [البقرة].

سُورَةُ يُوسُفَ

